أثر السؤال الافتراضي في بناء التركيب والتوجيه النحوي عند سيبويه

د. أيمن محمود محمد إبراهيم

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد

الملخص:

يبرز هذا البحث دور الحوار في بناء التراكيب والتوجيه النحوي عند سيبويه، إذ اعتمد عليه سيبويه اعتمادًا كبيرًا في التقعيد وتحليل التراكيب، وكان دافعًا لديه لبسط المسألة وتفنيدها ومعالجتها من كل جوانبها بغية إقناع مخاطبه وإقامة الحجة عليه؛ ومن ثم كان المخاطب شريكًا رئيسًا له في التحليل والتقعيد.

الكلمات المفتاحية: الحوار؛ السؤال الافتراضي؛ المخاطب؛ الكفاية الاتصالية.

The Effect of the Hypothetical Question on the Construction of Syntax and Grammatical Orientation at Sibawayh

Dr. Ayman Mahmoud Mohamed Ibrahim

Associate Professor of Department of Arabic Language and Literature

Faculty of Arts and Humanities - King Khalid University

Abstract:

This research highlights the role of dialogue in constructing compositions and grammatical orientation at Sibuye, He was motivated to simplify the issue and refute it and address it in all its aspects in order to convince his address, The argument was a key partner in analysis and complexity.

Keywords: Dialogue, The default question, Addressee, Communication efficiency.

مقدمة:

اعتمد سيبويه في كتابه على مبدأ الحوار، واتخذه أساسا في التقعيد، وتحليل التراكيب، سواء أكان هذا الحوار مع الخليل أم مع غيره، والحوار هو" نقل معلومة، لا بطريق الخبر، وإنما من خلال السؤال والجواب، أو رأيين يلتقيان أو يفترقان من حول الشيء ونقيضه"[(١)]؛ ومن ثم فإن الحوار يشمل عدة أركان رئيسة، هي: المرسِل، والمرسَل إليه، والمرسَلة اللغوية، والوسيلة المستخدمة في إرسالها، والسياق، حيث لا يمكن للمنطوق اللغوي أن يتم دون تفاعل المرسِل والمرسَل إليه، حيث يقوم المرسِل بنشاط إنتاج التلفظ، على حين يقوم المرسَل إليه بمهمة التأويل، أما المنطوق فهو العنصر الأساسي في هذا المخطط[(٢)]، ويبدو أن سيبويه كان يدرك ما للحوار من قيمة؛ إذ إن الحوار يسهم بشكل فعال في توسيع مدارك العقل وتعميقها بالشكل الذي لا يؤديه النظر الذي لا حوار فيه؛ ذلك لأن الحوار نظرٌ من جانبين، وليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين اثنين[(٣)]، كما أنه يهدف إلى جدة الأفكار وطريقة تناولها؛ حتى يخرج بحصيلة لم تكن موجودة من قبل، وبذلك تكون الفائدة مزدوجة، فمن جهة يتمكن الحوار من طرق آفاق معرفية جديدة، ومن جهة يحصل المتحاورون والمتتبعون للحوار على مردودية فكرية وتوجيهية متقدمة عما عهدوه في السابق؛ ومن ثم فإن الحوار يهدف إلى اكتساب معرفة جديدة، أو تغيير معرفة سابقة عليه بإضافات تحليلية، ورؤى تأويلية لم تكن موجودة قبل الحوار[(٤)].

أقسام الحوار عند سيبويه:

انقسم الحوار عند سيبويه قسمين:

حوار فعلي: قائم على المشافهة من خلال السؤال والجواب بين المتكلم (سيبويه)، والمخاطب (الخليل أو غيره). والمخاطب في هذا النوع من الحوار حاضر حضورا عينيا، ويُعنى البحث في هذا النوع من الحوار بالسؤال المفترض من قبل سيبويه، ويجريه على لسان هذا المخاطب.

حوار ضمني: حيث يفترض سيبويه مخاطبا يجري معه حوارا، هذا المخاطب ليس حاضرا في الخطاب حضورا عينيا، بل هو حاضر في ذهن سيبويه حضورا ذهنيا، وهو لا يصرح باسم هذا المخاطب؛ مما يعني أن هذا المخاطب المفترض يكون على ثلاثة أنواع: إما أن يكون المخاطب عاما، وإما أن يكون

(١) الحوار والمناظرة في القرآن الكريم. الدكتور/ خليل عبد المجيد زيادة. دار المنار. عمان:١٩.

(٢) انظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني. الدكتور/ قدور عمران. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن. الطبعة الأولى٢٠١٢م: ١٧.

(٣) انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدكتور/ طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الثانية٢٠٠٠م: ٢٠، ٢١.

(٤) انظر: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي. دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية. الدكتور/ محمد نظيف. أفريقيا الشرق. المغرب٢٠١٠م: ٦٥.

الخليل أو غيره، وإما أن يكون سيبويه نفسه، حيث يجعل من نفسه متكلما ومخاطبا في الوقت ذاته، وما يهمنا في هذا النوع من الحوار، هو ما يسمى بالسؤال الافتراضي.

مفهوم السؤال الافتراضي وأهميته عند سيبويه:

يبدو أن سيبويه- باعتباره متكلما ومنتجا للخطاب- كان على وعي تام بأن قصد المنتج وحده لا يكفي إن لم يكتشفه المتلقي(١)؛ ولذلك كان السؤال الافتراضي وسيلة من الوسائل التي اعتمد عليها في بيان قصده للمخاطب؛ ومن ثم تحقيق المعرفة لديه.

والسؤال الافتراضي هو سؤال يفترضه سيبويه، ويجريه على لسان المخاطَب- وهو لم يلفظ به- لأنه- أي: المخاطب- إما موجود حقيقة، لكنه لم يتلفظ بهذا السؤال، وإما أنه ليس حاضرا في الخطاب حضورا عينيا، بل استحضره سيبويه استحضارا ذهنيا؛ لأنه طالما وجد متكلم، فإن ذلك "يلزم عنه ضرورة وجود مخاطَب"(٢)، فإن لم يكن حاضرا حضورا عينيا استحضره المتكلم ذهنيا "حتى لا يذهب الكلام في شعاب موحشة تُضيع لفظه وتهتك ستر دلالته"(٣)؛ ولذلك وجدنا سيبويه يقدم لهذا السؤال بأداة التشبيه (كأنَّ)؛ مما يدل على أن هذا السؤال من افتراضاته هو، ولم يتلفظ به المخاطَب، ومما يدل على ذلك أيضا أنه يشير- في كثير من الأحيان- في أثناء ذكره لهذا السؤال، أنه لم يلفظ به المخاطب، أو أنه تمثيل لم يُتكلم به.

وقد استخدم سيبويه هذا السؤال في كتابه، وذلك في أثناء حواره مع المخاطب، فنجد في كتابه عبارات نحو: كأنَّهم قالوا: أيَّهم أَتَيْتَ؟..، كأنَّه قال في التمثيل وإن كان لا يُتكلَّمُ به: أَعبدُ الله أَهانَ أَهانَ غلامَه؟ أو عاقبَ غلامَه؟ كأنه في التمثيل تفسيرٌ لقوله: أعبدَ الله أهانَ أباهُ غلامُه؟ وأعبدَ الله ضربَ أخاه غلامُه؟..، وكأن هذا جواب لقوله: على أي حال وكيف مثله؟ وكأنه قيل له: كيف وقع الأمر؟..، كأَنه قيل له: لِمَ فَعَلتَ كذا وكذا؟..، كأنه أجاب من قال لمه؟..، فكأنهم إنما يسألون عن ثمن الدرهم..، فكأَنَّه إنَّما يَسأل هنا عن عن ثمن الكُرِّ كما سألَ الأوَّلُ عن ثمن الدرهم..، كأنَّه قيل له: أيُّ غايةٍ هذه عندك؟ وأيُّ إتيانٍ ذا عِندَك أسريعٌ أم بَطِيءٌ؟.. كأَنَّه أجاب من قال: بأَيِّ بأَيِّ ضربٍ مررتَ؟..، وإن شاءَ رَفَعَ كأَنَّه أجاب مَنْ قال: فما هما؟..، كأَنَّه جوابٌ لمن قال: بأَيِّ رجلٍ مررتَ؟ كأنَّه قيل له: بمن مررتَ؟..، كأنَّه

(١) انظر: مقالات في تحليل الخطاب. تقديم/ حمادي صمود. منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات. جامعة منوبة. وحدة البحث في تحليل الخطاب٢٠٠٨م: ٦٦.

(٢) الخطاب وخصائص العربية. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. الدكتور/ أحمد المتوكل. دار الأمان. المغرب. الطبعة الأولى٢٠١٠م: ٣٣.

(٣) الحجاج بين المنوال والمثال. نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري. الدكتور/ علي الشبعان. مسكيلياني للنشر. الطبعة الأولى ٢٠٠٨م: ٨٣.

قيل لك: من هو؟..، كأنَّه قيل له: من هو؟ أو من عبدُ الله؟..، كأنَّه قيل له: أيُّ المهاري؟..، كأنَّه قيل قيل له: ما هو؟..، كأنَّه لما قال: فيها قائمٌ، قيل له: من هو؟ وما هو؟..، فكأنَّه قيل له: من ينطلق؟..، كأنه قيل له: من هو؟..، كأنك قلتَ: ما رأيتَ؟..، كأنهم قالوا: عمَّ تسأل؟..، كأنه قيل له: ما هو؟[1]

ويبدو أن سيبويه استخدم هذا النوع من السؤال في أثناء تحليله للتراكيب؛ ليحقق به غرضين رئيسين:

الإقناع: حيث يتخذ سيبويه من الوسائل ما يحاول بها إقناع مخاطبه بفكره، فيخاطبه ويحاوره حوارا فعليا، فإن لم يكن حاضرا حضورا فعليا، فإنه يستحضره ذهنيا، ويجري على لسانه أسئلة، ويحلل المسألة اللغوية تحليلا من خلال السؤال والجواب؛ ومن ثم يجعل مخاطبه شريكا في المسألة، وهذا أدعى لإقناعه وإقامة الحجة عليه، فسيبويه باعتباره متكلما، ومنتجا للخطاب" لا ينتج خطابه عبثا، ولكنه ينتجه من أجل تحقيق هدف معين، وتتفاوت الأهداف من حيث أهميتها الخطابية، ومن حيث ما تتطلبه من عمل ذهني ومخزون لغوي لتحقيقها"[2]، إن الهدف الرئيسي من الخطاب عند سيبويه هو الوصول بالمخاطب إلى مرحلة الإقناع التي تعد الهدف الرئيسي للحوار، بحيث يصل كل من الطرفين المتحاورين إلى اتفاق على أمر معين يقتنعان به، أو يقنع أحدهما الآخر به، فعلاقة الحوار بالإقناع بالإقناع علاقة غاية ووسيلة، فالإقناع غاية، والحوار والحوار وسيلة لغوية للوصول إليه. وقد اختار سيبويه السؤال الافتراضي وسيلة من وسائل الحوار اللغوية لتحقيق هذه الغاية.

التنبيه: حيث عمد سيبويه إلى استخدام السؤال الافتراضي لتنبيه المخاطب إلى أمر ما، قد يكون هذا الأمر رفع لبس عنه، أو دفع غفلة، أو إشعاره بأهمية المسألة، أو أنها تحتمل أكثر من وجه، وتنبيه المخاطب يؤدي إلى ما يسمى بـ (الكفاية الاتصالية) التي تعني عند هايمز" مقدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية المختلفة، لا جمل نحوية"[3]، ومن مظاهر قوة الكفاية الاتصالية التنبيه على الأمر؛ لأنك إذا نبهت عليه "فقد علم ما جئتَ به، وقد وطَّأتَ له، وقدَّمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول

(١) انظر على سبيل المثال: كتاب سيبويه. تحقيق/ عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م: ١/٩٣، ٩٤، ١٠٣، ٣٦٧، ٣٦٩، ٤٠٢، ٤٠٣، ٢/١٤، ١٦، ١٧، ١٢٢، ٣/ ١٥٥.

(٢) استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار الكتاب الجديدة المتحدة. الطبعة الأولى٢٠٠٤م: ١٤٩.

(٣) النص والخطاب والاتصال. الدكتور/ محمد العبد. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي بالقاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ٤٨.

المأنوس به، وقبله قبول المهيَّأ له المطمئنِّ إليه، وذلك لا محالة أشدُّ لثبوته، وأنفى للشبهة وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق. وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غُفْلا مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام"[١].

استعمالات سيبويه للسؤال الافتراضي:

اتخذ سيبويه من السؤال الافتراضي للمخاطَب استراتيجية من استراتيجيات الخطاب؛ حيث يسهم لديه بشكل فعال في إنتاج الخطاب وتحليل التراكيب، كما اتخذه أساسا في التوجيه النحوي، والبناء التركيبي للجملة، وذلك على النحو الآتي:

- ما ذكره سيبويه في (باب يُحْمَلُ فيه الاسمُ على اسمٍ بُنِيَ عليه الفعلُ مَرَّةً ويُحْمَلُ مَرَّةً أُخْرَى على اسمٍ مبنيٍّ على الفعل)، حيث يقول" وإن قال: أعبدَ اللهِ مررتَ به أمْ زيدًا؟ قلت: زيدًا مررتُ به، كما فعلتَ ذلك في الأوَّل. فإن قلت: لا بل زيدًا، فانْصِبْ أيضًا كما تقول: زيدًا، إذا قال: من رأيتَ؟ لأنَّ مررتُ به، تفسيرهُ: لقيتُه ونحوُها، فإنَّما تَحْمِل الاسمَ على ما يَحْمِلُ السائلُ، كأنَّهم قالوا: أيَّهم أَتَيْتَ؟ فقلتَ: زيدًا"[٢]، حيث يشير سيبويه إلى نصب كلمة (زيدًا) في الجواب كما نُصبت في السؤال، أي تُحمل في الجواب على ما حُملت عليه في السؤال، وفي سبيل توضيح هذه المسألة يستعين بسؤال افترضه على لسان مخاطبه، هو: أيَّهم أتيتَ؟ فيكون الجواب: زيدًا- بالنصب- لأن (أي) الواردة في السؤال في موضع نصب، والاسم يحمل في الجواب على إعرابه في المسألة[٣]؛ ومن ثم فإن السؤال الافتراضي هو الذي وجه كلمة (زيدًا) إلى النصب في الجواب.

- وفي باب (ما ينصب في الألف)، يؤدي السؤال الافتراضي دورا فاعلا في بيان التوجيه النحوي للكلمة، إذ يتحدث سيبويه في هذا الباب عن التوجيه النحوي الذي يحتمله الاسم الذي يلي حرف الاستفهام (الهمزة)، وأن هذا الاسم يحتمل الرفع أو النصب، مستعينا بالسؤال الافتراضي في توجيه كل حالة؛ وذلك لتنبيه المخاطب إلى أن هذا الاسم يحتمل أكثر من وجه نحوي، وأن هذا السؤال هو الذي يوجه الكلمة في كل حالة، ففي توجيه هذا الاسم إلى الرفع، يقول" وتقول: أَعبدُ الله الله ضرب أخوه غلامَه؟ إذا جعلت الغلامَ في موضع زيد حين قلت: أعبدُ الله ضرب أخوه زيدًا؟ فيصيرُ هذا تفسيرا لشيء رَفَعَ عبدَ الله؛ لأنَّه يكون مُوقِعا الفعلَ بما يكون من سببه، كما يوقِعُه بما ليس من

(١) دلائل الإعجاز. لعبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه/ محمود مُحَمَّد شاكر. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م: ١٣٢.

(٢) كتاب سيبويه: ٩٣/١، ٩٤.

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي. الجزء الثالث. تحقيق الدكتور/ رمضان عبد التواب، والدكتور/ محمود علي مكي. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠١م: ١٣٩.

سببه، كأنَّه قال في التمثيل وإن كان لا يُتكلَّمُ به: أَعبدُ الله أَهانَ غلامَه؟ أو عاقبَ غلامَه؟ أو صار في هذه الحال عند السائل وإن لم يكن"[١]، حيث يجعل سيبويه من السؤال الافتراضي(أعبدُ الله أهان غلامَه، غلامَه، أو عاقب غلامَه) موجها أصيلا في توجيه الاسم (عبدُ الله) إلى الرفع؛ بغية توضيح المسألة وتقريبها إلى ذهن المخاطب؛ ليعرف السبب في توجيه الاسم – في أحد حاليه- إلى الرفع، إذ يشير إلى أن رفع الاسم (عبدُ الله) في التركيب (أَعبدُ الله ضربَ أخوه غلامَه)؛ لأن الاسم (عبدُ الله) محمول في هذا التركيب على الفاعل (أخوه)، فصار (عبدُ الله) كأنه الفاعل؛ ولذا أُضمر له فعلٌ يرفعه، كأنَّه قيل: أعبدُ الله ضرب غلامَه؟[٢]، مشيرا إلى أن هذا تمثيل لم يُتكلم به، ولكنه افترضه على لسان المخاطب. كما استخدم كذلك السؤال الافتراضي في توجيه الاسم (عبدَ الله) إلى النصب في التركيب (أعبدَ الله ضَرَبَ أخاه غلامُه)، حيث يقول "وإن جعلتَ الغلامَ في موضع زيدٍ حين رفعتَ زيدًا، نصبتَ، فقلت: أعبدَ الله ضَرَبَ أخاه غلامُه؟ كأنه جعله تفسيرًا لفعلٍ غلامُهُ أوقعَهُ عليه؛ لأنَّه قد يوُقع الفعلَ عليه ما هو من سببه، كما يوقِعُه هو على ما هو من سببه، وذلك قولك: أعبدُ الله ضربَ أباه؟ وأعبدَ الله ضَرَبَهُ أبوه؟ فجرى مجرى: أعبدُ الله هو ضَرَبَ زيدًا؟، وأعبدَ الله ضَرَبه زيدٌ؟ كأنه في التمثيل التمثيل تفسيرٌ لقوله: أعبدَ الله أهانَ أباهُ غلامُه؟ وأعبدَ الله ضربَ أخاه غلامُه"[٣]، إذ يشير سيبويه في في هذه المسألة إلى ما يحتمله الاسم (عبدَ الله) من التوجيه النحوي إلى النصب اعتمادا على سؤال افتراضي من قبل المخاطب، هو(أعبدَ الله أهانَ أباهُ غلامُه؟ وأعبدَ الله ضربَ أخاه غلامُه؟)؛ حتى يكون على بينة بالتوجيه الآخر للاسم الواقع بعد حرف الاستفهام (الهمزة)، إذ يشير إلى أن الاسم (عبدَ الله) الله) محمول على المفعول به، فيأخذ حكمه من النصب[٤]، مشيرا أيضا إلى أن السؤال الافتراضي تمثيل ولم يُتكلم به.

– كذلك يستخدم سيبويه السؤال الافتراضي لبيان الأوجه النحوية المختلفة للكلمة، متخذا من المخاطَب عنصرا رئيسيا في إنتاج الخطاب؛ ومن ثم إقناعه بالمسألة- طالما أنه شريك في إنتاج التراكيب- ففي باب (ما يَنتصب فيه المصدرُ المشبَّهُ المشبَّهُ به على إضمار الفعل المتروك إظهارُه)، وذلك تعليقا على قولهم "مررتُ به فإذا له صَوْتٌ صَوْتَ حِمار"[٥]، حيث يذكر الأوجه النحوية المختلفة لنصب المصدر(صوت) في قولهم (صوتَ حمار)، وما يترتب على كل وجه من تقدير للعامل فيه، ففي توجيه الكلمة إلى النصب على المصدر مع تقدير فعل محذوف، وذلك في أحد أحوالها، يقول

(١) كتاب سيبويه: ١٠٣/١.

(٢) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي: ١٧٠/٣.

(٣) كتاب سيبويه:١٠٣/١.

(٤) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي: ١٧٠/٣.

(٥) كتاب سيبويه:٣٥٥/١.

"فإذا قلتَ: فإذا هو يُصوِّتُ صَوْتَ حِمارٍ، فإنْ شئت نصبتَ على أنَّه مثالٌ وقع عليه الصوتُ، وإن شئت نصبتَ على ما فسَّرنا وكان غير حال"[(١)]، حيث يرى أن المصدر(صوت) منصوب بفعل مقدر بين الجملة المتقدمة والمصدر، تدل عليه الجملة المتقدمة دلالة تامة، وقد أغنت عنه؛ فلهذا وجب حذفه، إذ الأصل: له صوتٌ يُصوِّتُه صوتَ حمار، أي: تصويت حمار، فأقيم الاسم مقام المصدر، كما في أعطى عطاء، وكلَّم كلاما، إذ التقدير في (له صوت): هو يُصوِّت، فجاز نصب ما بعده لجواز تقدير الفعل في موضعه[(٢)]، وقد استعان سيبويه في بيان هذا التوجيه بسؤال افتراضي أجراه على لسان المخاطَب؛ ليصل به إلى مرحلة الإقناع والمعرفة التامة، ومنبها إياه إلى أن الموجه للكلمة في حال نصبها على المصدر هو السؤال الافتراضي الذي جعله وسيلة من وسائل حواره مع المخاطَب، فيقول "وكأنَّ هذا جوابٌ لقوله: على أيِّ حالٍ وكيفَ ومِثلُه؟ وكأنَّه قيل له: كيف وقع الأمرُ؟ أو جعل المخاطَبَ بمنزلة مَن قال ذلك، فأراد أن يبيِّن كيف وقع الأمرُ، وعلى أيِّ مثالٍ، فانتصَب وهو مَوْقُوعٌ فيه وعليه، وعَمل فيه ما قبله وهو الفعلُ"[(٣)]؛ ومن ثم فالمخاطب ليس مجرد متلقٍّ فقط، بل يمثل عنصرا أساسيا في إنتاج الخطاب، وتحليل التراكيب.

- كذلك يرى سيبويه أن المصدر الواقع مفعولا له يكون إجابة عن سؤال افتراضي، فيقول "وذلك قولك: فعلتُ ذاك حِذارَ الشرِّ، وفعلتُ ذلك مخافةَ فلانٍ وادِّخارَ فلانٍ.... وفعلتُ ذاك أَجْلَ كذا وكذا، فهذا كلُّه يَنتصب لأنَّه مفعول له، كأَنه قيل له: لِمَ فَعَلتَ كذا وكذا ؟ فقال: لكذا وكذا"[(٤)]، فالمصدر الذي يقع مفعولا له هو السبب الذي له يقع ما قبله، وهو دائما جواب لسؤال مفترض يُفهم من سياق الكلام، فالتراكيب التي ذكرها سيبويه: فعلتُ ذاك حذارَ الشَّرِّ- مخافةَ فلان- ادِّخار فلان- أَجْلَ كذا وكذا، هي إجابات عن سؤال مفترض هو: لم فعلت كذا؟[(٥)].

- ومن ذلك ما ذكره سيبويه في باب (ما يَنتصب من المصادر لأنّه حالٌ صار فيه المذكور)، حيث يشير إلى مسألة نصب المصدر الذي دخلت عليه الألف واللام على مذهب أهل الحجاز، وذلك في قوله" وقد يَنصب أهلُ الحجاز في هذا الباب بالألف واللام؛ لأنَّهم قد يَتوهَّمون في هذا الباب غيرَ غيرَ الحال، وبنو تميم كأَنهم لا يَتوهَّمون غيرَه؛ فمن ثَمَّ لم يَنصبوا في الألف واللام، وتركوا القُبْحَ. فكأَنَّ

(١) السابق:١/٣٦٠.

(٢) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي. الجزء الخامس. تحقيق الدكتور/ مُحَمَّد علوني عبد الرؤوف. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م: ١٢٩، ١٣٠، الأصول في النحو. لابن السراج:٢/٢٥٢، شرح الرضي على الكافية:١/٣١٩، همع الهوامع: ٢/١٢٦.

(٣) كتاب سيبويه: ١/٣٦٠.

(٤) السابق: ١/٣٦٧، ٣٦٩.

(٥) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي: ٥/١٤٤.

الذى تَوهَّم أهلُ الحجاز البابُ الذى يَنتصب لأنه موقوعٌ له، نحوَ قولك: فعلتُه مَخافةَ ذلك. وذلك قولهم: أَمَّا النُّبْلَ فنبيلٌ، وأمَّا العقلَ فهو الرجلُ الكاملُ، كأَنَّه قال: هو الرجلُ الكاملُ العقلَ والرأيَ، أي: للعَقلِ والرأي، وكأَنَّه أَجاب مَنْ قال لِمَه ؟"[1]، حيث يذكر سيبويه أن أهل الحجاز ينصبون المصدر في قولهم: أما النُّبلَ فنبيلٌ، وأما العقلَ فهو الرجلُ الكاملُ، على أنه مفعول له؛ وذلك لأن المفعول له يكون نكرة ومعرفة، فتقول: فعلتُه مخافةَ الشَّرِّ، ومخافةً[2]، وفي سبيل إيضاح هذه المسألة للمخاطب، وبيان سبب التوجيه النحوي إلى النصب في كلمتي (النبلَ، والعقلَ)، ذكر سيبويه سؤالا افتراضيا من قبل المخاطب، هو: كأنه أجاب من قال لمه؟ وذلك باعتبار أن المفعول له يكون إجابة عن سؤال بـ (لِمَ) أو (لماذا).

– وفي باب (ما يَنتصب من الأسماء التي ليست بصفةٍ ولا مصادرَ لأنَّه حالٌ يَقع فيه الأمرُ فيَنتصبُ لأنه مفعولٌ به)، يقول سيبويه" وأمَّا قولُ الناسِ: كان البُرُّ قَفيزَيْنِ، وكان السَّمْنُ مَنَوَينِ، فإنما هاهنا عن ذكر الدِّرهم لِما في صدورهم من عِلمه، ولأنَّ الدرهم هو الذى يسعَّر عليه، فكأنَّهم إنَّما يَسألون عن ثمن الدرهم في هذا الموضع"[3]، فالتركيبان: كان البُرُّ قَفيزَيْنِ، وكان السَّمْنُ قد طرأ عليهما حذف، ولكي يلفت سيبويه انتباه مخاطبه إلى هذا الحذف، جعلهما إجابتين عن سؤال افتراضي افترضه وأجراه على لسان مخاطبه، فهو يسأل عن ثمن البُرِّ والسَّمنِ، ولكنهم في الإجابة حذفوا الثمن استنادا إلى العرف السائد بين الناس في البيع، فقد" اعتادوا الابتياع بثمن بعينه، دراهم أو دنانير فتركوا ذكره اكتفاء بمعرفته"[4]، ثم يستخدم سيبويه القياس في هذه المسألة بغية إقناع مخاطبه، والوصول به إلى المعرفة التامة– وهي الغاية المنشودة من الخطاب– وليلفت انتباهه إلى ما يعتري التركيب من تغيير بالحذف، يستعين بالسؤال الافتراضي، حيث يقول" كما يقولون: البُرُّ وتركوا ذكر الكُرَّ استغناءً بما في صدورهم من عِلمه، وبعلم المخاطَب؛ لأنَّ المخاطب قد علم ما يَعنى، فكأَنَّه إنَّما يَسأل هنا عن ثمن الكُرِّ، كما سألَ الأوَّلُ عن ثمن الدرهم"[5]، فسيبويه يجعل التركيب: البُرُّ بستِّينَ، جوابا عن سؤال افترضه على لسان المخاطب، فهو يسأل عن ثمن الكُرِّ من البُرِّ، والتقدير: الكُرُّ من البُرِّ بستِّين، إلا أنهم" حذفوا الكُرَّ لعلمهم بأن التسعير عليه يقع. فكل ما كان

(١) كتاب سيبويه: ١/٣٨٥، ٣٨٦.

(٢) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي: ٥/١٦٨.

(٣) كتاب سيبويه:١/٣٩٣.

(٤) شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي. الجزء السادس. تحقيق الدكتور/ محمَّد عوني عبد الرؤوف. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٤هـ .– ٢٠٠٣م: ١٠.

(٥) كتاب سيبويه: ١/٣٩٣.

معلومًا في القول جاريًا عند الناس فحذفه جائز لعلم المخاطَب"[١].

- وفي باب (ما يَنتصب من الأسماءِ والصفات لأنَّها أَحوالٌ تقع فيها الأمورُ)، يشير سيبويه إلى أن الكلمة قد تحتمل أكثر من وجه نحوي، فيقول" وتقول: عبدُ الله أَخْطَبُ ما يكون يومَ الجمعة، والبَداوة أطيبُ ما تكون شهرَيْ ربيع، كأَنَّك قلت: أخطبُ ما يكون عبدُ الله في يوم الجمعة، وأطيبُ ما ما تكون البَداوةُ في شهريْ ربيع، ومن العرب من يقول: أخطبُ ما يكون الأميرُ يومُ الجمعة، وأطيبُ ما تكون البَداوةُ شهرَا ربيع، كأنَّه قال: أَخطبُ أيَّام الأمير يومُ الجمعة، وأطيبُ أَزمنة البداوة شهرَا ربيع"[٢]، حيث يشير في هذا النص إلى أن كلمتي (يوم، شهر) تحتملان النصب أو الرفع، فالنصب على الظرفية، والرفع على الخبرية[٣]، مستخدما أسلوب الحوار مع المخاطب، وإشراكه في تحليل التراكيب؛ ومن ثم يستخدم عبارات مثل (وتقول، كأنك قلت، كأنه قال)، ثم يتابع التفصيل في هذه المسألة متدرجا بالأمثلة المختلفة، ومستعينا بالسؤال الافتراضي من قبل المخاطَب؛ ليكون على بينة بكل ما يحتمله التركيب من أوجه نحوية مختلفة، فيقول" وتقول: آتيك يومَ الجمعة أَبْطَؤُهُ، على معنى ذاك أبطؤُه، كأنَّه قيل له: أيُّ غايةٍ هذه عندك؟ وأيُّ إتيانٍ ذا عِندَك أسريعٌ أم بَطِيءٌ ؟ فقال: أَبطَؤُه على معنى: ذاك أَبْطَؤُه... وإن شاء قال: آتيك يومَ الجمعة أَبْطَأه، أي أَبطأَ الإتيانِ يومَ الجمعة"[٤]، فلكي يبين سيبويه لمخاطبه أن كلمة (أبطؤه) في التركيب (آتيك يومَ الجمعة أَبْطَؤُهُ) تحتمل الرفع والنصب، استعان بسؤال افتراضي من قبل مخاطبه لبيان وجه الرفع في الكلمة، وأنها رفعت على الخبرية؛ فيكون التقدير: ذاك أبطؤه، وكأن هذا التركيب إجابة عن سؤال مفترض من المخاطب تقديره: أيُّ غاية هذه عندك؟ وأيُّ إتيان ذا عِندَك أسريعٌ أم بَطِيءٌ؟ ومن ثم يُحقق للمخاطب الإفهام والإقناع.

- ومما يبدو فيه أثر السؤال الافتراضي في التوجيه النحوي للكلمة، ما ذكره سيبويه في مسألة الجمع في المنعوت والتفريق في النعت، حيث قال "ومنه أيضًا مررتُ برجلينِ مُسْلِمٍ وكافرٍ، جمعت الاسمَ وفرَّقتَ النعتَ، وإن شئت كان المسلمُ والكافرُ بدلاً، كأَنَّه أجاب من قال: بأَيِّ ضربٍ مررتَ ؟ وإن شاءَ رَفَعَ، كأَنَّه أجاب مَنْ قال: فما هما؟ فالكلامُ على هذا وإن لَمْ يلفظ به المخاطَبُ؛ لأنَّه إنما يَجرى كلامُه على قدر مسألتك عنده لو سألتَه"[٥]، فسيبويه بكلامه هذا يجعل السؤال

(١) المقتضب. للمبرد. تحقيق/ مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م: ٢٥٤/٣.

(٢) كتاب سيبويه: ٤٠٢/١، ٤٠٣.

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي: ٢٣/٦، ٢٤.

(٤) كتاب سيبويه: ٤٠٣/١.

(٥) السابق: ٤٣١/١.

الافتراضي الذي أجراه على لسان المخاطب محددا أصيلا في التوجيه النحوي، كما يجعل المخاطب شريكا أساسيا له في الخطاب؛ حتى يقنعه ويقيم عليه الحجة، إذ يرى في (مسلم وكافر) الجر على وجهين، والرفع على وجه، فالوجه الأول من الجر أن يعربا على النعت" فيصير مسلم وكافر كقولك: مسلمين أو كافرين"[(١)]، فيكون تفريق النعت كجمعه، والوجه الثاني أن يعربا على البدل من (رجلين)، كأنه قال "مررت بمسلمٍ وكافرٍ، ولم تذكر رجلين"[(٢)]، والتركيب بهذا الشكل- كما يرى سيبويه- في حالة الإعراب على البدلية قد تأثر بسؤال افتراضي من قبل المخاطب، وذلك على مستوى التوجيه النحوي، كأنه سأل: بأي ضربٍ مررتَ؟ فتكون الإجابة: مررتُ برجلين مسلمٍ وكافرٍ، بتوجيه الجر على البدلية في (مسلم وكافر).

أما وجه الرفع، فباعتبار (مسلم وكافر) خبرين- كما يرى سيبويه-اعتمادا على سؤال افتراضي تقديره: ما هما؟ فيكون التقدير: هما مسلمٌ وكافرٌ[(٣)]؛ ومن ثم فإن السؤال الذي افترضه سيبويه قد أثر في التوجيه النحوي، وذلك بتوجيه كلمتي (مسلم وكافر) إلى الرفع باعتبارهما خبرين.

ويتابع سيبويه حديثه في هذا الباب بقوله "وكذلك: مررتُ برجلِين رجلٍ صالحٍ ورجلٍ طالحٍ، إن شئت صيَّرته تفسيرًا لنعتٍ، وصار إعادتُك الرجلَ توكيدا. وإن شت جعلتَه بدلاً، كأَنَّه جوابٌ لمن قال: بأَيِّ رجلٍ مررتَ؟ فتركتَ الأَوَّلَ واستَقبلتَ الرجلَ بالصفة، وإن شئت رفعتَ على قوله: فما هما"[(٤)]. حيث يرى سيبويه أن السؤال الافتراضي هو الذي يوجه الحالة الإعرابية للتركيب، للتركيب، فيوجَّه إلى الجر إذا كان السؤال: بأيِّ رجلٍ مررتَ؟ ويوجَّه إلى الرفع إذا كان السؤال: ما هما؟

وبهذا فإن السؤال الافتراضي قد لعب دورا أساسيا في التوجيه النحوي، وفي تنبيه المخاطب إلى أن المسألة تحتمل أكثر من وجه نحوي.

- وفي باب (بدل المعرفة من النكرة والمعرفة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة)، يجعل سيبويه المخاطَب نصب عينيه، حيث يسوق المثال للمسألة، وينوع في السؤال الافتراضي الذي يجريه على لسان المخاطب، متبعا أسلوبا حواريا بين المتكلم والمخاطب، فيقول" أما بدل المعرفة من النكرة، فقولك: مررتُ برجلٍ عبدِ الله. كأَنَّه قيل له: له: بمن مررتَ؟ أو ظَنَّ أنه يُقال له ذاك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه"[(٥)]، حيث جعل سيبويه التركيب (مررتُ برجلٍ عبدِ الله)، إجابة عن سؤال افترضه على لسان المخاطب، فكأن المتكلم حين نطق التركيب: مررتُ برجلٍ، لم يدرك المخاطَب

(١) شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي: ٦٠/٦.
(٢) السابق ٦/ ٦٠.
(٣) انظر: السابق: ٦١/٦.
(٤) كتاب سيبويه: ٤٣١/١.
(٥) السابق: ١٤/٢.

من هذا الممرورُ به، فسأل المتكلمَ: بمن مررتَ؟ فجيء بالمعرفة لتحصل الإفادة. ثم يتابع سيبويه حديثه في هذه المسألة بذكر المثال ذاته الذي استعمله من قبل، على حين يغير السؤال الافتراضي الذي يجريه على لسان مخاطبه، مما يترتب عليه تغيير في التوجيه النحوي للكلمة، فيقول" وإن شئتَ قلتَ: مررتُ برجلٍ عبدُ الله، كأنَّه قيل لك: من هو؟ هو؟ أو ظننتَ ذلك"(١). برفع (عبدُالله) اعتمادا على على السؤال الافتراضي، فتارة يوجه هذا السؤال الكلمة إلى الجر، وتارة أخرى يوجهها إلى الرفع.

وفي مسألة قطع المعرفة من المعرفة مبتدأة، يقول سيبويه" وأما الذي يجيء مبتدأ، فقول الشاعر، وهو مهلهل:

ولقد خَبَطْنَ بيوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً

أخوالُنا وهُمُ بنو الأعمامِ

كأنه حين قال: خَبَطْنَ بيوتَ يَشْكُرَ، قيل له: وما هم؟ فقال: أخوالنا وهم بنو الأعمام"(٢)، إذ تحتمل كلمة (أخوالنا) في بيت مهلهل ثلاث لغات: الرفع والنصب والجر، غير أن الذي وجهها إلى لغة الرفع هو السؤال الافتراضي الذي افترضه سيبويه، فكأن المخاطب لم تكتمل لديه المعرفة حين سمع التركيب (خَبَطْنَ بيوتَ يَشْكُرَ)، فبادر بسؤال المتكلم: ما هم؟ أي: أيُّ بني يشكر؟ فكان الجواب: أخوالُنا، أي: هم أخوالُنا، برفع "(أخوالنا) على أنه خبر ابتداء محذوف، كأنَّه قال: هم أخوالنا وهم بنو الأعمام. وقوله: وهم بنو الأعمام، يدل على المبتدأ المحذوف"(٣).

ويتابع سيبويه حديثه في هذه المسألة للوصول بمخاطبه إلى درجة الإقناع، وتحقيق المعرفة لديه؛ ليستوي فيها كل من المتكلم والمخاطب، وفي سبيل ذلك يضرب المثال تلو الآخر، مستعينا في تحليله للتراكيب بالسؤال الافتراضي من قبل المخاطب، فيقول" وقد يكون مررتُ بعبدِ الله أخوك، كأنَّه قيل له: من هو؟ أو من عبدُ الله؟ فقال: أخوك. وقال {الفرزدق}:

وَرِثتُ أَبى أَخْلاقَه عاجِلَ القِرَى

وعَبْطَ المهارِي كُومُها وشَبوبُ هَا

كأنه قيل له: أيُّ المهاري؟ فقال: كومُها وشبوبُها"(٤). فقد وجه السؤال الافتراضي: من هو؟ أو من عبدُ الله؟ كلمة (أخوك) في قوله: مررتُ بعبدِ بعبدِ الله أخوك، إلى الرفع، وكذلك وُجهت (كومُها (كومُها وشبوبُها) إلى الرفع بفعل السؤال الافتراضي الافتراضي (أيُّ المهاري)، وذلك على تقدير مبتدأ محذوف، كأنَّه قال: هو أخوك، أو عبدُ الله أخوك، وهي كومُها وشبوبُها.

(١) السابق: ٢/١٥.

(٢) السابق: ٢/١٦.

(٣) شرح أبيات سيبويه. ليوسف بن أبي سعيد السيرافي. تحقيق الدكتور/ مُحَمَّد علي الريح هاشم. مراجعة/ طه عبد الرؤوف سعد. طبعة دار الفكر. القاهرة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م: ٢/٤١.

(٤) كتاب سيبويه: ٢/ ١٦، ١٧.

ومن ذلك أيضا قوله "وتقول: مررتُ برجلٍ الأسدِ شِدَّةً، كأنَّك قلتَ: مررتُ برجلٍ كاملٍ؛ لأنك أردتَ أن ترفع شأنه، وإن شئت استأنفت، كأنَّه قيل له: ما هو"(١)، حيث استعان سيبويه بسؤال افتراضي أجراه على لسان مخاطبه وجَّه كلمة كلمة (الأسد) إلى الرفع على تقدير مبتدأ محذوف، كأنَّه قال في الإجابة: هو الأسدُ.

وبذلك فإن المخاطب قام بدور فاعل في التوجيه النحوي للكلمات داخل التراكيب التي ذكرها سيبويه، وذلك من خلال السؤال الذي افترضه على لسانه، وعلى هذا فإن إنتاج التراكيب ليس مقصورا على المتكلم وحده، بل إن المخاطب شريك فاعل وأساسي للمتكلم في إنتاج تلك التراكيب.

– وفي باب (ما ينتصب لأنه قبيح أن يوصف بما بعده ويبنى على ما قبله)، يقول سيبويه "وذلك [قولك] هذا قائمًا رجلٌ، وفيها قائمًا رجلٌ، لما لم يجز أن توصف الصفة بالاسم، وقبح أن تقول: فيها قائمٌ، فتضع الصفة موضع الاسم، كما قبح مررت بقائمٍ، وأتاني قائمٌ، جعلتَ القائم حالا، وكان المبني على الكلام الأول ما بعده، ولو حسن أن تقول: فيها قائمٌ، لجاز: فيها قائمٌ رجلٌ، لا على الصفة، ولكنه كأنَّه لما قال: فيها قائمٌ، قيل له: من هو؟ وما هو؟ فقال: رجلٌ أو عبدُ الله"(٢)، حيث يتحدث سيبويه في هذه المسألة عن الاسم النكرة الذي له صفة تجري عليه، ويجوز نصب صفته على الحال، والعامل في الحال شيء متقدم لذلك الاسم النكرة، ثم تتقدم صفة تلك النكرة عليه، فيكون الاختيار أن تحمل تلك الصفة على الحال، وذلك نحو: هذا رجلٌ قائمٌ، وفيها رجلٌ قائمٌ، فـ(هذا) مبتدأ، و(رجلٌ) خبره، و(قائمٌ) نعت رجل، و(فيها) خبر مقدم، و(رجلٌ) مبتدأ مؤخر، و(قائمٌ) نعت رجل، ويجوز نصب (قائم) في المسألتين، فيقال: هذا رجلٌ قائمًا، وفيها رجلٌ قائمًا، فالعامل في المثال الأول: التنبيه أو الإشارة، بينما العامل في الثاني: الظرف، والوجه: الصفة، فلما احتيج إلى تقديم الصفة، ولم يصلح أن ترفع تلك الصفة؛ لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف، وكانت الحال تتقدم وتتأخر، نصبت على الحال، وعامل الحال قد تقدم، فقيل: هذا قائمًا رجلٌ، وفيها قائمًا رجلٌ(٣). ثم يشير سيبويه إلى جواز التركيب: فيها قائمٌ رجلٌ، ليس برفع (رجل)على الصفة؛ لأن (قائم) صفة، و(رجل) اسم، والصفة لا توصف بالاسم، ولكن برفعه على الاستئناف، بتقدير: هو رجلٌ(٤)، وقد استعان في هذا التفسير بالسؤال الافتراضي الذي وجهه المخاطب إلى المتكلم، كأنَّه لما سمع التركيب: فيها قائمٌ، بادر بالسؤال: من هو؟ أو ما هو؟ وكان هذا السؤال هو الموجه كلمة (رجل) إلى الرفع على تقدير: هو رجلٌ.

– ويستخدم سيبويه السؤال الافتراضي دافعًا لبسط المسألة وتفنيدها وبيان أوجهها المختلفة

(١) السابق: ٢/١٧.

(٢) السابق: ٢/١٢٢.

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي. الجزء السابع. تحقيق الدكتور/ أحمد عفيفي، ومصطفى موسى. دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م: ٥٨.

(٤) انظر: السابق: ٧/٥٩.

للمخاطب؛ ليقف معه على القدر ذاته من المعرفة؛ لذا نراه ينوع في تقدير السؤال تبعا للتركيب، ففي باب (ما تستوي فيه الحروف الخمسة)، يقول "وذلك قولك: إن زيدًا منطلقٌ العاقلُ اللبيبُ. فالعاقلُ اللبيبُ يرتفع على وجهين: على الاسم المضمر في (منطلق) كأنَّه بدلٌ منه، فيصير كقولك: مررتُ به زيدٌ، إذا أردتَ جواب بمن مررتَ؟ فكأنَّه قيل له: من ينطلق؟ فقال: زيدٌ العاقلُ اللبيبُ. وإن شاء رفعه على مررتُ به زيدٌ، إذا كان جواب من هو؟ فتقول: زيدٌ، كأنَّه قيل له: من هو؟ فقال: العاقلُ اللبيبُ، وإن شاء نصبه على الاسم الأول المنصوب"[(١)]، حيث يشير سيبويه إلى مجيء صفة اسم (إن) مرفوعة، وأنها تحتمل وجهين للرفع، وقد مثل لذلك بمثال: إنَّ زيدًا منطلقٌ العاقلُ اللبيبُ، وقد استعان في تحليله لهذا التركيب بسؤالين افتراضيين من قبل المخاطب؛ وذلك لتنبيهه على أنه يترتب على كل سؤال منهما حالة رفع معينة لصفة اسم (إن)، فالوجه الأول: أن ترفع كلمة (العاقل) على أنها بدل من الضمير العائد على (زيد) في (منطلق)، وفي هذه الحالة يكون تقدير السؤال الافتراضي الذي وجه الكلمة إلى الرفع على أنها بدل هو: من ينطلق؟ فتكون الإجابة: زيدٌ العاقلُ اللبيبُ. أما الوجه الثاني: فهو رفع كلمة (العاقل) على أنها خبر لمبتدأ محذوف، وفي هذه الحالة يكون تقدير السؤال الافتراضي الذي وجه الكلمة إلى الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف هو: من هو؟ وحينئذ تكون الإجابة: العاقلُ اللبيبُ.

- ويقول سيبويه في حديثه عن (ماذا)، وأن (ما) و(ذا) بمنزلة اسم واحد" أما إجراؤهم ذا بمنزلة الذي فهو قولك: ماذا رأيتَ؟ فيقول: متاعٌ حسنٌ....، وأما إجراؤهم إياه مع ما بمنزلة اسم واحد، فهو قولك: ماذا رأيتَ؟ فتقول: خيرًا، كأنَّك قلتَ: ما رأيتَ؟ ومثل ذلك قولهم: ماذا ترى؟ فتقول: خيرًا، وقال جلَّ ثناؤه (مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا)، كان ذا لغوا لما قالت العرب: عمَّاذا تسأل؟ ولقالوا: عَمَّ ذا تسألُ؟ كأنهم قالوا: عمَّ تسأل؟ ولكنهم جعلوا ما وذا اسما واحدا، كما جعلوا ما وإن حرفا واحدا حين قالوا: إنَّما، ومثل ذلك كأنَّما كأنَّما وحيثما في الجزاء"[(٢)]، فسيبويه بكلامه هذا يستحضر مخاطبه ويحاوره، ولكي يدفع عنه توهم فهم أن (ذا) بمعنى (الذي)، يجري على لسانه سؤالا افتراضيا؛ ليبين له الفرق بين (ذا) إذا كانت اسما موصولا مركبا مع (ما)، وإذا كانت تمثل مع (ما) كلمة واحدة، فيرى أن قولك: ماذا رأيت؟ فتقول: خيرا، تتساوى مع سؤال المخاطب الافتراضي: ما رأيتَ؟ بمعنى أن (ذا) لم تؤثر في التركيب. أما إذا كانت (ذا) اسما موصولا مركبا مع (ما)، فالمترتب على ذلك أن تكون الإجابة بالرفع وليس بالنصب.

- وفي باب (أنْ التي تكون والفعل بمنزلة مصدر)، يستخدم سيبويه السؤال الافتراضي في تعليقه على قوله تعالى ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ﴾[(٣)]، حيث يقول" وقال جلَّ ذكره ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ﴾، ثم قال ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ على

(١) كتاب سيبويه: ١٤٧/٢.

(٢) كتاب سيبويه: ٤١٧/٢، ٤١٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٠.

التفسير، كأنَّه قيل له: ما هو؟ فقال: هو أن يكفروا"[1]، حيث يتحدث عن المصدر المؤول ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾، وتوجيهه إلى الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف[2]، فـ ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ مخصوص بالذم، والمخصوص بالمدح أو الذم في في باب (نعم وبئس) فيه وجهان: أحدهما أنه مبتدأ، وبئس خبر، على تقدير: بئس كفرهم، والوجه الثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف، لأنه كأنه لما قيل: بئسما اشتروا به أنفسهم، قيل: ما هو؟ قيل: هو أن يكفروا، أي هو كفرهم[3]، والوجه الثاني هو الذي أراده سيبويه، فتوجيه المصدر المؤول إلى الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كان اعتمادا على سؤال افتراضي من قبل المخاطب، تقديره: ما هو؟.

الخاتمة:

كانت هذه دراسة بعنوان (السؤال الافتراضي عند سيبويه)، حاولتْ أن تبرز دور السؤال الافتراضي الذي افترضه سيبويه كمنطوق لغوي موجه إلى المتكلم من قبل المخاطب، وقد خرجت هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

– اتخذ سيبويه من السؤال الافتراضي وسيلة من وسائل إنتاج الخطاب، فقد أسهم هذا السؤال إسهاما فاعلا في بناء التراكيب، والتوجيه النحوي لديه، فكان دافعا لبسط المسألة النحوية وتفنيدها للمخاطب؛ ليكون على وعي بما اعترى التركيب من تغيير في بنائه اللغوي، أو في توجيه المفردات داخل التراكيب إلى أحوال إعرابية مختلفة.

– اتخذ سيبويه من السؤال الافتراضي وسيلة من وسائل إقناع المخاطب بالمسألة النحوية، أو تنبيهه إلى ما يطرأ على التركيب من تغيير في بنيته، أو توجيه المفردات فيه، محققا بذلك ما يسمى بـ .(الكفاية الاتصالية).

– اهتم سيبويه بمخاطبه اهتماما بالغا، ولا أدل على ذلك من هذا الحضور المستمر للمخاطب في الحوار مع سيبويه، فإن لم يكن حاضرا حضورا فعليا، استحضره استحضارا ذهنيا، وأجرى على لسانه سؤالا افتراضيا في الحالين.

– لم يتخذ سيبويه من اللغة في وضع السكون أساسا في التقعيد، بل اعتمد بشكل رئيس على اللغة في وضع الاستعمال، واتخذها أساسا في التقعيد، وذلك باتباعه أسلوب الحوار بين المتكلم والمخاطب.

– إن المخاطب بهذا الفكر عند سيبويه صاحب سلطة في إنتاج التراكيب والتوجيه النحوي، فهو عنصر فاعل وشريك أساسي للمتكلم في إنتاجها وتوجيهها.

المصادر والمراجع:

– الأصول في النحو لابن السراج. تحقيق: الدكتور/ عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

(١) كتاب سيبويه: ١٥٥/٣.

(٢) انظر: شرح الرضي على الكافية. تصحيح وتعليق/ يوسف حسن عمر. منشورات جامعة قار يونس. بنغازي. ليبيا. الطبعة الثانية ١٩٩٦م: ٢٥١/٤.

(٣) انظر: إعراب القرآن. المنسوب إلى الزجاج. تحقيق/ إبراهيم الإبياري. دار الكتاب المصري بالقاهرة: ١٧٣/١.

- استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار الكتاب الجديدة المتحدة. الطبعة الأولى٢٠٠٤م.

- إعراب القرآن. المنسوب إلى الزجاج. تحقيق/ إبراهيم الإبياري. دار الكتاب المصري بالقاهرة.

- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني. الدكتور/ قدور عمران. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن. الطبعة الأولى٢٠١٢م.

- الحجاج بين المنوال والمثال. نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري. الدكتور/ علي الشبعان. مسكيلياني للنشر. الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي. دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية. الدكتور/ مُحَمَّد نظيف. أفريقيا الشرق. المغرب٢٠١٠م.

- الحوار والمناظرة في القرآن الكريم. الدكتور/ خليل عبد المجيد زيادة. دار المنار. عمان.

- الخطاب وخصائص العربية. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. الدكتور/ أحمد المتوكل. دار الأمان. المغرب. الطبعة الأولى٢٠١٠م.

- دلائل الإعجاز. لعبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه/ محمود مُحَمَّد شاكر. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م.

- شرح أبيات سيبويه. ليوسف بن أبي سعيد السيرافي. تحقيق الدكتور/ مُحَمَّد علي الريح هاشم. مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد. طبعة دار الفكر. القاهرة ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.

- شرح الرضي على الكافية. تصحيح وتعليق/ يوسف حسن عمر. منشورات جامعة قار يونس. بنغازي. ليبيا. الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

- شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي. الجزء الثالث. تحقيق الدكتور/ رمضان عبد التواب، والدكتور/ محمود علي مكي. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، والجزءان الخامس والسادس. تحقيق الدكتور/ مُحَمَّد عوني عبد الرؤوف ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م. والجزء السابع. تحقيق الدكتور/ أحمد عفيفي، ومصطفى موسى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. طبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدكتور/ طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. المغرب. الطبعة الثانية٢٠٠٠م.

- كتاب سيبويه. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

- مقالات في تحليل الخطاب. تقديم/ حمادي صمود. منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات. جامعة منوبة. وحدة البحث في تحليل الخطاب ٢٠٠٨م.

- المقتضب. للمبرد. تحقيق/ مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

- النص والخطاب والاتصال. الدكتور/ مُحَمَّد العبد. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ٢٠٠٥م.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي. تحقيق/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية. مصر.